

كلمة

طاهر المصري

في

القدس محور وحدة الأمة

المنعقد في طهران

2018/11/26-24

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإخوةُ الحضور الكرام..

أبارك لكم، وللأمتين الإسلامية والعربية، بعيد المولد النبوي الشريف، نبي الرحمة والتسامح والإخاء البشري، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي يتزامن في هذا الأسبوع، مع مولد أحد أحفاده المباركين الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وأتساءل في هذا المكان العلمي والفقهي؛ (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية):

هل تستطيع ثقافة هذه الأمة اليوم، المتطلعة والطامحة إلى أشكال وحدتها وتوحيدها، وكأول أشكال التقريب بين مذاهبها، أن تستعيد تاريخاً موحداً للإمام علي، كرم الله وجهه، وأبنائه، وأحفاده.

فالثقافتان، الإسلامية والعربية اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، هما في أحوج ما يكون إلى تلك الاستعادة المعرفية والوجدانية والثقافية، وربما المعتقدية أيضاً.

استعادة تتوحي التوحيد في منهجها، وتفرّق، في الأصول المؤسّسة، بين التاريخ
وبين صلب عقيدة التوحيد الإسلامية.

أقولُ هذا، وأنا أعرفُ أنّ السياسةَ والمصالحَ تغمرُ حياةَ واقعِ هاتينِ الأمتينِ
المنكوبتينِ في رَاهِنِهِمَا. رَاهِنٌ وَلَا أضعفَ وَلَا أبشعَ، يوظّفُ فيه الدينَ والمذاهبُ
والأعراقُ في كلّ ما يفرّقُ كلاً من الأمتينِ، بمحاورٍ وتياراتٍ سياسيةٍ لا حدَّ لها،
وعلى نحوٍ استبيحت فيه مصالحُ ومقاديرُ ومصائرُ كلّ شعوبِ المنطقة، بما فيها
غير المسلمين من أبنائها..؟!؟

الإخوةُ الحضور الكرام..

وأنتم تجتمعون اليوم، في هذا المكان، وتحت هذا الشعار الجليل؛ (القدس.. محور
وحدة الأمة)، اسمحوا لي بالتساؤل بكلّ الصدق المؤلم والموجع في آنٍ معاً؛

* هل حقاً يمكن للقدس أن تكون محور وحدة الأمة، اليوم..؟

القدسُ تختفي.. أيها السادة.

لم تعد المدينةُ كما كانت. وهل يجدر بها أن تبقى كذلك، بانتظار حنينٍ ما، أو
بانتظار أن نتفق أو نتوحد، بها أو لها أو عليها..؟! تتساءلُ المدينةُ باستغراب..

القدس تختفي..

ليس بالاستيطان الغولي في محيطها ، فحسب. بل بريشة الرسّام الكولينيّ الصهيونيّ اليهوديّ الحديث. إنهم يصنعون الوطنَ الأسطوريّ على الأرض، وبألوان الفنّ التشكيليّ المسلّح كلّها .

وبضربات الألوان والحجر والبشر، ينزاحُ تاريخٌ ويتقدّم آخر.

فالمدينة، يا سادة، تُخلَع ثيابها عنوةً، ويُعريها الغزاة من جلدِها وعمرانها وناسها، كما قضت بذلك ضروراتُ الفنّ التشكيليّ المُدججِ بالسلاح!!

القدس تختفي..

على قدمٍ عسكريّةٍ وساقٍ صهيونيّةٍ يهوديّةٍ، أنهت الدولة العبرية، منذ سنوات، كلّ التفاصيلِ المطلوبة لمشروعِ واجهةِ القدس. ولن يثيرَ أحداً القولُ بأنّه أخطُرُ مخطّط لتهود الأقصى والقيامة معاً. فقد سبقه كلامٌ عربيّ وإسلاميّ كثير، أحالَ كلّ تحذيرٍ لاحقٍ إلى ثرثرةٍ لا قيمةَ لها.

فمشروعُ واجهةِ القدس يختصُّ فقط ببلدةِ القدسِ القديمةِ وجوارها المباشر. والهدفُ الأساسيُّ للمشروعِ هو تحويلُ المعالمِ العمرانيةِ المقدّسة، الإسلاميّةِ

منها والمسيحية، إلى مجرد تفاصيلٍ صغيرةٍ، أو بثورٍ، منثورةٍ على جسدٍ صهيونيٍّ يهوديٍّ كبيرٍ. فالمشروعُ، يشتغل على ما يسمّى المربعِ الأولِ والأهمِّ، للقدس التي يعرفها الناس، وتعرفها الثقافاتُ المختلفةُ أيضاً. وهو شغلٌ عمرانيٌّ في الأساس، على هذا المربعِ المدنيِّ، في المدينة التي بُنيَ على جسدها ونسجها القديمِ أجساداً أخرى.

هذا المربعُ، الذي استهدفه مخطّطُ التغييرِ، (يشملُ؛ البلدة القديمة. والمنطقة الممتدة من حائط البراق إلى باب الساهرة وجبل الطور وجبل الزيتون، وصولاً إلى فندق الأقواس السبعة. وكذلك المنطقة التي تمتد من حيّ الثوري إلى سلوان. ويضمّ هذا المربع المستهدف أيضاً؛ المسجد الأقصى والكنائس وحديقة القدس والأراضي التابعة لها، في منطقتي الجثمانية والصوانة. وكذلك منطقة الطور وباب الأسباط والمقبرة الإسلامية، وباب المغاربة وساحته وأراضي الوقف، وكذلك كلّ المساحة الممتدة نحو سلوان وباب الساهرة، في محيط أسوار البلدة القديمة.

القدسُ تختفي ، ،

ولكن، هل بقي أحدٌ يعرف هذه التفاصيل، أو يتذكرها؟!!

تتساءلُ المدينةُ بلا حزنٍ. وهي تعرف، أنّ أحداً ما سيأتي إليها يوماً، ويتساءلُ

حانقاً؛ لم نجد المدينةَ. وربما يضيفُ باستغراب؛ القدسُ هذه لا نعرفها...!!.

القدسُ تختفي..

غير أنه من المعيبِ أن نقول، ذاتَ صباحٍ: إنّ القدسَ لم تختفِ بل تتخفى. فهذا

اختفاءً أخيراً. ولا عودةَ بعده إلى ما كان، إلا بدورةٍ أخرى وكبرى للأساطير...!!؟

وعلى الرغم من كلّ ما سبق، فإننا، في المملكة الأردنية الهاشمية، نتمسكُ

بنواجذنا، بما أتاحه لنا القانونُ والتوافقاتُ الدوليةُ من حدٍّ أدنى، في الولايةِ

الهاشميةِ الأردنيةِ على المقدّساتِ الإسلاميةِ والمسيحيةِ في القدس وجوارها.

وهو ما دفعنا وندفعُ اليوم بسببه أثماناً سياسيةً تفوق قدراتِ بلدنا الصغير، ما

يُحتّمُ على الأمةِ ومكوّناتها تعظيمَ هذا الحقِّ الإسلامي والعربيّ في مقدّسات

القدس، ومساعدةَ الأردنِ بكلّ ما تستطيع في مواصلة الحفاظ على دوره في

المدينة المقدّسة.

الإخوة الكرام..

إنهم يُحاولون امتلاك المشرق بأسلحة بدائية..

فالتفتت ونشوء العصبية من جديد هما وحدهما، ما يبدو أنه ملأ ذلك الفراغ وما

يزال.

وكان الصراع على امتلاك المشرق وتاريخه يعود هذه المرة بسلاح بدائي، مُطلاً

على العالم عبر نوافذ العرق، والمذهب، والطائفة والهوية...!!

الإخوة الحضور الكرام..

إن الصهيونية حركة استعمارية أنتجت دولة استعمارية هي (إسرائيل)، وهي

آخر هذه الدول . والصهيونية أيضاً حركة استعمارية في غايتها وفي معانيها

ومضامينها. فهي، في جوهرها، مشروع استعماري متواصل ومستمر، يستهدف

الاستقرار في جزء من المشرق العربي، بإزاحة ونفي السكان الأصليين، من

خلال الطرد التدريجي الفردي والجماعي والتطهير العرقي.

والحركة الصهيونية هي استعمار ذو طبيعة خاصة، يختلف عن معظم ما جرى من استعمار في مناطق العالم المختلفة. ففي طبيعة هذا الاستعمار وتاريخه في فلسطين ما يؤكد أنه ليس عنصرياً فحسب، بل هو (فوق عنصري) .

أيها الإخوة المحترمون..

اسمحوا لي، في مؤتمركم هذا، بممارسة شيء من الجرأة النظرية على أخطر سلاح قديم يجري فيه وبه تفتيت ما تبقى من تماسك لشعوب المنطقة. سيما وأن الثقافة والسياسة الغربيتين اشتغلت على هذا الموضوع وما تزال منذ نحو قرن ونصف القرن، ((وعلى رأس هؤلاء برنارد لويس، وأستاذه هاملتون جب، وما تفرع منهما من سلالات معرفية إسلامية وعربية)) .

حين حمل العرب المسلمون «إسلامهم» إلى أمم الأرض وشعوبها، وعادوا ببعضهم، قادة ووزراء، فإن حياتهم ومجتمعهم وعالمهم لم يعد كما كان. فالعرب، الذين خرجوا من «جزيرتهم»، بعقيدة واحدة وقرآن واحد وبلا مذاهب، صار عالمهم، بعد أربعة قرون، الممتد من سمرقند في الشرق إلى قرطبة في الغرب،

مليئاً بالفرق والمذاهب والحركات السريّة والباطنيّة، ويُحسبُ تاريخُ أفكارِها وعقائدها كجزءٍ من تاريخِ الفكرِ الإسلامي العام.

وبِحَجَبِ السُلْطَةِ عن الآخرين، في مجتمعِ إسلامِ القرنِ الثاني، تغيّر وجهُ ذلك العالمِ الجديد، وتنوّعت مساراتُهُ. ففي مقابلِ الإسلامِ الظاهريّ، العلنيّ، السلطويّ، ظهر إسلامٌ باطنيّ، سريّ، اعتراضيّ، تستندُ فلسفتُهُ العامّةُ على اكتناهِ الحقيقةِ، فيما وراءَ ظواهرِ الأشياءِ والنصوصِ، أي فلسفةُ «الحقِّ الذي يشرِّعُ الحقيقةَ..!».

لم ينقضِ القرنُ الرابعُ، من هجرةِ المسلمين العرب، حتى هَرَسَت الحركاتُ السريّةُ والباطنيّةُ جسدَ الأُمَّةِ الإسلاميّةِ الجديدِ، وشَطَّطت روحَ يقينِها وعقيدَتِها، بجرأةٍ تلك هي محنتنا، التي لا نزالُ، أيّها السادةُ، نقفُ فيها عندَ آخرِ عتبةٍ من عتباتِ قرنِ المسلمين الهجريّ الرابعِ..! فهل نستطيعُ اجتيازَها..؟ وكيف..؟

أبتقريبِ المذاهبِ، أم بتقريبِ المصالحِ..؟

###

مرة أخرى ، اسمحو لي بالجهر بمصارحتكم، بأنني؛

_ بأنني ألوَمُ إيرانَ كما ألوَمُ العربَ، على اختلاف أشكال وجودهم السياسي اليوم.

_ ألوَمُ إيرانَ لأنها أيقظت مخاوف التاريخ كلها عند عرب اليوم، بمفهوم الحكم السياسي وتداخل السياسة والدين.

_ وألوَمُ العربَ لأنهم لم يرتقوا سياسياً إلى مخاطر اللحظة الاستراتيجية الراهنة، على الإقليم كله، فكسروا ويكسرون محرّمات كبرى، ما كان ينبغي لها أن تُكسَرَ. محرّمات هي في الأصل مصالح ومصائر وجود الأمم وشعوب الإقليم والمنطقة كلها.

_ وهنا بدأت كارثة استراتيجية وسياسية عربية كبرى، إذ تقاطعت رؤى بعض البلدان العربية، استراتيجياً في المدى القريب والمتوسط، مع رؤية وأهداف العدو الصهيوني لمصالحه وألوياته..؟

_ فانتقل الصراع الميداني اليومي، في المنطقة العربية، إلى مرحلة كاشفة

(وعجائبية)، في حرق المراحل، واصطفاف التحالفات. وتلك لعمري، كارثة

عربية، وتراجيديا إغريقية شديدة السواد والتعقيد.

يحدث ذلك، أيها الإخوة، وكما تعرفون، على الرغم من أن تبدل التحالفات في

قوى المنطقة مع القوى العظمى تحكّم السياسة والمصالح لا الأديان والمذاهب

ومدى تقاربها.

_ فلا الإسلام بكلّ مذاهبه، ولا أية سياسة مبتكرة وخبیثة، ولا أيّ فكرٍ ومعتقدٍ،

يُسوّغ احتلال أرض إسلامية أو عربية، في زمن الضعف العربي والإسلامي

المُرعب، سوى معادلة القوة وحسابات المصالح الاستراتيجية للأمم..؟

_ لا بدّ من ابتكار حلولٍ خلاقيةٍ وحقيقيةٍ لهواجس دول الخليج العربي المسلمة،

فيما تعتقده أخطاراً قادمةً من فكرةٍ السياسيّة، بأنّها تُجرّد المعتقدين بها من

العرب من مواطنيتهم وانتمائهم السياسيّ العربيّ والقوميّ..؟!؟

السيدات والسادة ،

لا بد من ابتكار او إيجاد حلول خلاقه وحقيقية لهواجس الأطراف المعنية ،
ولا بد من التأكيد على أن الرفض المطلق للإنخراط في الفهم والإدارة للسياسة
الأمريكية ولإسرائيل في صراعهما الذاتي مع إيران ، هو أول الخطوات في
معادلة خلط الأوراق الدائرة حالياً بوتيرة قصوى .

إن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا . وان الأحوال البائسة لأمتنا ليست أقداراً محتومة .
إذا توفرت إرادة نخب العلماء والأساتذة الأفاضل .

دعونا لا نخرج من هنا إلا ونحن ملتزمون أمام الله والوطن ، بأن نعيد للأمة
الإسلامية مكانتها ودورها في خدمة البشرية وفي تحقيق السلام والمحبة في هذا
العالم . وأن نبقى متماسكين و متمسكين بروح ومفاهيم ديننا الحنيف وأن نرفض
التطرف .

دعونا نعاهد الله سبحانه وتعالى ونعاهد الوطن بأن القدس العربية
الإسلامية هي عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة وأنها لن تختفي أو تزول ،
دعونا نطلق من هنا إعلاناً أو خارطة طريق واقعية واضحة تعلن عن رأينا هذا .

فالخطابات والمؤتمرات تكدست صفحاتها ولم تعد تكفي ولا هي قادرة على تحقيق أهدافنا .

إطلبوا من تلك الدول الإسلامية أن تتوقف عن التناحر والتنازب وأن نتقي الله فيما نحن فيه من خراب واستعمار والاستقواء بالاجنبي والعدو على اخواننا .
أيها الأساتذة الكرام..

لا بُدّ من مصارحاتٍ ومصالحاتٍ قوامها الوضوح؛

مسئولياتنا ثقيلة ومسئولياتكم اكبر وأثقل . توكلوا على الله واخلقوا حواراً عميقاً حراً .
